
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

يهود المغرب: على أعتاب نهاية الرحلة

أمين الكوهن، باحث في تاريخ المغرب
كلية الآداب بنمسيك

تقديم

تميزت التجربة التاريخية ليهود المغرب بكثير من الخصوصية، فهي مبنية على قناعة عقائدية مرتبطة بطقوس، وهو أمر اشتركت فيه مع عقائد اخرى محلية أو عبر قارية. فقد عمرت المسيحية في الفترة الرومانية، لكنها اندثرت مع خسوف تجربتهم السياسية ببلاد المغرب،وحتى المحاولات التبشيريةفي مطلع العصر الحديث أو خلال الفترة الاستعمارية، لم تكن ذات جدوى. عكس التجربة اليهودية التي استمرحضورها طيلة الالفيتين السابقتين. وقد يكون هذا الوجود مرتبط بالإحساس بالانتماء الى المغرب،أوربما كان افتقاد وطن مركز ثقله العنصر اليهودي (قومية دينية)، ربما كان التسامح من بين عناصر التفسير المحتملة المتعددة.

قد تكون هذه الظاهرة محرضة على استكناه أسرار الوجود المتواصل لليهود بالمغرب، لكن الامر لايكفي حيث إن المغامرة تحتاج إلى بحث واستقصاء علمي، خاصة وأن كثير من عناصر التفسير تبقى قاصرة على تبرير النزيف الذي خضعت له الجماعة اليهودية بالمغرب،فمن أصل حوالى 400 ألف يهودي نهاية الأربعينات من القرن الماضي انخفض الوجود إلى ما يقارب 1200 يهودي حاليا، أغلبهم في مدينة الدار البيضاء، وهو ما يمثل انهيار ديمغرافي واضح.

وجدير بالذكر أن هجرة اليهودوترحالهم ليس بالبدعة الجديدة في حياتهم بل هي جزء منمسارهم التاريخي، سواء بوازع ديني أو رغبة بالتبحر في أسرار المعرفة الدينية أو بحثا عن الأمن. وصحيح أن انتقال اليهود من المغرب وإليه كلها رحلات تختلف عما عرفه المغرب خلال القرن العشرين،إذ أنها أدت إلى إفراغه من يهوده، ويعود الأمر إلى عدة عناصر انطلاقا من المتغيرات التي عرفتها الجماعة اليهودية في منتصف القرن التاسع عشر بسبب عوامل موضوعية وأخرى ذاتية.

ويمكن إجمال العناصر الخارجية المؤثرة في هذا التحول في:

- زيارة اللورد منتيفيوري sir Moses Montefiore سنة 1864حيث تمكن منإجبار السلطان على إصدار ظهير لصالح اليهود هذا فضلا عن الضغط الأوربي حولالحمايات، والذي سيتوج سنة 1880 بمؤتمر مدريد [1].

1 - GOLDENBERG ,André,«l'ouverture au monde moderne (XVII. XIX Siècle)» ,in : Ouvrage collectif JUIFS DU MAROC- Images & Textes- dir par GOLDENBERG André, paris 1992, p.80-82

- قانون كريميو القاضي بمنح الجنسية ليهود الجزائر، وما سيثيره لاحقا في اليهود من رغبة في الاستفادة من قانون مماثل.

- ظهور مدارس الاليانس، ودورها في إفراغ اليهودي من انتماءه من خلال مناهج وبرامج غربية، وتأهيله للاندماج في نمط جديد خارج الملاح.

- العمل الدؤوب للمؤسسات الصهيونيةأثناء الحرب العالمية الثانية مما أدى إلىازديادعايتها امتدادا وتأثيرا في ذهنية وسلوك الجماعة اليهودية بالمغرب مستغلة في ذلكظروف العيش السيئة لبعض الجماعات اليهودية داخل الملاحات.

أولا : من ال" Alyah" إلى التهجير

كانت الهجرة نحو المشرق تسمى " alyah" أي الصعود [2]، ولدينا قوائم اليهود الذين انتهى بهم المقام هناك من ابن ميمون إلى رغبة ربي زكريا بن مساس في القيام بها في منتصف القرن الثامن عشر[3]. وهي رحلة ذات بعد ديني، وتختلف عما عرفه المغرب خلال القرن العشرين وأدت إلى إفراغه من يهوده.

ركز شمعون ليفي في تحليل أسبابها على العوامل المادية وعلاقات الانتاج المرتبطة بتأثير الاستعمار الفرنسي في تفكيك البنيات التقليدية وجعل منه عاملا حاسما، أما دافيد كوهن فأرجع الأمر إلى أسباب ذات طبيعة دينية .

يبدو بأن كل هذه الاجتهادات تتكامل في التفسير، فقد تمت عمليات ناجحة "لتهجير" الآلاف من يهود المغرب، مما يعبر عن احتضار التجربة التاريخية للعيش المشترك اليهودي/ الإسلامي بالمغرب، وقد ساهمت عدة عوامل في تحديد هذا المسار الذي كانت له انعكاسات جد سلبية على اليهودية المغربية. ويمكن أن نوجز بعض العناصر المساهمة في هذه الوضعيةفيما يلي:

العنصر الأول: الجانب الديني والنفسي

هناك تعاقد أخلاقي وديني بين اليهود ومنطقة فلسطين، ما يفسر الارتباط التاريخي والرحلات المنتظمة والرغبة في اقتناء تراب المنطقة ليدفن مع الميت [4] كان هذا الاستعداد القبلي مادة أساسية لاستقطاب بسطاء اليهود الذين يسهل اختراقهم، امام عدم قدرة الكثير منهم على التمييز بين الديني والسياسي، لكن الملاحظ أن الهجرة لم تتجه نحو ماتم التخطيط له [5].

2 – حافظنا على كلمة "alyah" الواردة في النص لاعتقادنا فعلا أن هذه الهجرة تنبع من إيمان حقيقي وعميق.

3 - SAADOUN, Haïm ; Histoire familiale, parcours individuel et mémoirecollective , Ouvrage collectif : La bienvenue et l'adieu ; migration juifs et musulmans au Maghreb XVème XXème Siècle.dir. Frédéric Abécassis, Karima Dirèche et Rita Aouad. volume 3, Casablanca 2012. Vol.V. p. 34.

4 – الزعفراني حاييم،ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمةم. شحلان. و ع غأبو العزم، البيضاء، 1987. ص 109.

5 – القصد هنا هو أن عددا مهما من اليهود لم يهاجروا الى اسرائيل بل شدوا الرحال نحو دول اخرى كفرنسا وكندا والولايات المتحدة الامريكية...

على المستوى الفكري: انتشرت أفكار "القبالاه" (6)، وساهم تأثيرها في تزايد قوة الرابطة بين يهود المغرب وبين فلسطين، وهي أفكار شغلت منذ القرن السابع عشر مكانة مهمة في فكر حاخامات اليهود في شمال افريقيا، الذين اهتموا بآرائها ونظرياتها في مسائل مثل الشتاتوالخلاص ومجيئ المسيح المخلص. كل هذا كان له صدى في الأعمال الشعرية (7) والأدبية حيث كان حضور الأبطال من التوراة وأولياء ومحققي معجزات من فلسطين، مثل مردخاي أيوب، وبريوخاي... وترسيخها عبر ذلك في الخيال الشعبي، كما كانت هذه الأدبيات التي تمجد "أرض إسرائيل المقدسة السامية". وبفضل تأثير الأحبار الرسل من خلال الإرشاد والتعليم، دخلت العادات والأعراف الفلسطينية في الطقوس اليهودية المغربية (الصلوات والأدعية القبالية والصلوات الليلية والطقوس الخاصة). هذه الهالة القدسية وجدت تعبيرها الأكثر صراحة ووضوحا في أعياد الحج الثلاثة (8)، خاصة عيد الفصح الذي تبدأ طقوس وجبته الرئيسية بأحد النصوص الذي يختتم بالأمنية التي عمرت مايزيد على ألف عام: «العام المقبل موعدنا القدس»... إذا كانت القدس محور جزء من الفكر اليهودي المغربي، والذي استطاع أن ينقله من مجاله الديني ليعممه على الآداب اليهودية في مختلف أشكالها، وأثرت في الثقافة وأصبحت أملا ومطمحا لكل المتأثرين بالفكر القبالي اليهودي - الذي كان منتشرا بالفعل - فهل انعكس ذلك على سلوكهم وقاموا بهجرتهم الدينية؟ إذا كان الأمر كذلك فما هي حدودها وتأثيرها على البنية الديمغرافية اليهودية؟

على المستوى العملي: كانت هناك محاولات لترجمة هذا الطقس الديني "التعبدي" (الصعود) من طرف العديد من المؤمنين اليهود طيلة القرون السابقة،وهو ما ذكر به الربي جوزيف مساس (1892-1975) عند سرده لبيوغرافيا عائلته حيث تحدثعلى نوايا وأحلام أجداده بالهجرة والتي لم تتحقق ومنها:« منذ سنة 1713، تملكت جدنا الأول المعروف بالوقور ربي زكريا بن مساس، طيب الله ذكراه، فكرة الصعود(alyah) إلى الأراضي المقدسة...» ثم يسرد الاستعداد الذي سبق العملية من بيع للممتلكات... والاحداث التي عرفتها المرحلة، ومنعته من اتمام طقسه التعبدي، ما عرضه لحالة من الانتكاس، ويختتم النص بما يلي: « ... ولم يعد لحياته طعم، وتوفي سنة 1740م بعد أن عمر طويلا وهو شبه مرفوع، بعد أن أوصى ابنه البكر، جدي ومعلمي مسعود طيب الله روحه، بتحقيق أمنيته في أقرب وقت...» (9).ورغم ذلك لم تتحقق أمنية أي أحد من أجداده، وحتى هو لم يهاجر إلى إسرائيل إلا سنة 1965م أي بعد حوالي عقدين من إقامة دولة اسرائيل (10).

6 - القبالاه: مايماثل التصوف عند المسلمين.

7 - ايتنجر صمويل، اليهودفي البلدان الاسلامية (1850- 1950)، ترجمة الرفاعي ج. أ، سلسلة عالم المعرفة ؛ عدد 197 ؛ الكويت 1995. ص 337

8 - الزعفراني حاييم،ألف...، مرجع سابق، ص ص 240-237-207-32.

9 - SAADOUN .Haïm : Histoire familiale..., op.cit.V3, p.34.

10 - «هناك في هذا الصدد حالتين وصل فيها التناقض حده الاقصى، ويتعلق الامر باثنين من كبار من كانوا وراء صهينة الجماهير اليهودية بالمغرب وتهجيرها،

- أولهم ب س.د. ليفي احد الاتباع الاوائل ل هرتزل، ورئيس جهوي دائم للصندوق الوطني اليهوديوالمنشط الرئيسي للحركة الصهيونية، الذي لم يبد اي حماس "للصعود" نحو اسرائيل، واختار بالفعل البقاء في الدارالبيضاء (التي توفي بها سنة 1970). بالرغم من تنديده المتواصل منذ 1917 بالمحنة الشديدة، التي كان يعتبر ماضي الجماعات اليهودية بالمغرب نموذجا لها واشارته الى قرب "نهاية المنفى" ودعوته بكل تصميم الى تحقيق الشعار الصهيوني "شعب اسرائيل على ارض اسرائيل".

-- الثاني هو جوناثان ثورز. فقد بادر منذ 1940 الى امريكا، بالرغم من عمله المتواصل الذي استمر لمدة تربو على 15 سنة. على اجتثاث اخوانه في الدين من بيئتهم المغربية وترسيخ حتمية الحل "الفلسطيني" في وجدانهم». انظر،محمد كنبيب، يهود المغرب، ترجمة إدريس بنسعيد،الناشر: كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، 1998. ص ص-298 299.

أمر أثبته الإحصائيات المرتبطة بمرحلة ماقبل احتلال المغرب، والتي تبين أرقامها غياب الحس الصهيوني لدى يهود المغرب آنذاك، وبأن هذه الهجرة ذات بعد ديني.

السنة	1839	1849	1855	1866	1875
العدد	13	116	120	454	316

جدول تطور اليهود من أصل مغربي المستقرين بفلسطين خلال القرن19 (11)

رغم أن الهجرة لم تتجاوز حدودها المعقولة، فقد بقيت أمانيها معلقة في انتظار تأجيج عناصرها وتحويل بعدها الديني الى جانب إديولوجي أحادي النظرة، ما سيكون ضمن منجزات الدعاية الصهيونية.

العنصر الثاني: أدوات الدعاية الصهيونية

إذا كان الجانب الديني والنفسي جزء من ثقافة تراكمت عبر قرون، فإن ماحدث في القرن العشرين كان ذي أبعاد سياسية، أغلبها نسجت عناصره في الخارج، من خلال عملية صهينة – سياسية– الفكر اليهودي المغربي، واستهدفت الأوساط الأقل معرفة، وتعيش وضعية بؤس مادي... فقد ركزت الدعاية الصهيونية على مواضيع معينة، كما أنها أخدت كامل وقتها "للانقضاض" على اللحظات التاريخية الحاسمة، باستعمال أدوات دعاية قادرة على إحداث التأثير وجني نتائج عملها.

الصحافة :

فقد سبق وأن تم استعمال الدعاية بمختلف أدواتها، عندما توالت الضغوطات المتعددة، وقد أثبتتإجرائيتها منذ القرن التاسع عشر، خاصة عن طريق الجرائد، ومن ضمنها قضية "إسحاق عمار" الذي قَتَل مسلما بالدارالبيضاء سنة 1879، ورفض المثول أمام القضاء الشرعي، ورغم ثبوت أنه لا يتمتع بحماية "أجنبية" ولا يملك أية حصانة، فإن ما قامت به الصحف الصادرة بطنجة وجبل طارق ولندن ونيويورك، مكنته من البراءة (12).

11 - SAADOUN ,Haïm ; Histoire familiale…, op.cit.Vol.3, p. 36

12 – كنبيب محمد، المحميون،كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، منشورات باب آنفا،الرباط، 2011 ، ص262.

على مستوى المواضيع: تم استغلال كل التاريخ المغربي لإبراز الأحداث التي كان اليهود عرضة لها، وتم تدبجها في إطار أدبي محبك، وخلق تاريخ يهودي خطه الناظم هو المأساةوربطه بأوضاع معاصرة [13] – خاصة بعد ظهور النازية– ، او عندما تم اعتقال شبان يهود من الدار البيضاء أثناء عبورهم للحدود نحو الجزائر، حيث لم تكن هذه الدعاية محض صدفة. كما ربط دعاة الصهيونية من جهة أخرى، بين ما كانوا يسمونهب "مذابح وجدة وجرادة " ب "مذابح فاس"(1912)، بل ذهب بهم الأمر إلى حد اعتبار بعض المسلمين مسؤولين عن مشروع الإبادة الجماعية لليهود الذي خطط له فرنسيون ينتمون إلى اليمين المتطرف سنة 1942 بالدار البيضاء [14]، وتمكنوا على هذا النحو من التقليل من أهمية الهدوء الذي خيم على كافة ربوع البلاد [15].

كان استغلال كل الأحداث الصغيرة والمعزولة أو التي لها ارتباط بالجو السياسي العام منها، دون المساءلة على وضع المسلمين الذين كان أكثرهم يعيش أوضاعا أشد بؤسا وإقصاء في كافة المجالات.

أما على مستوى أدوات الدعاية فقد كان على رأسها الجرائد: كانت أولى الجرائد ذات النفس الصهيوني هي جريدة "الحرية" (AL Horria) الصادرة بطنجة مابين 1925–1915، وقد استعملت العربية والعبرية كأداة تواصل [16]. وتعتبر"نورالمغرب" (NOAR) أول جريدة صدرت بمدينة الدارالبيضاءوظهرت على يد "أبراهام حديدة"، الذي كان يملك أيضا مكتبة دينية بالملاح .[17]

لكن الجريدة التى كانت أكثر أهمية وتأثيرا، والتي خلفت مباشرة جريدة "الحرية" في خطها التحريري، جريدة « L'Avenir Illustre » (المستقبل المصور)،مابين 1938–1926م،بمدينة بالدار البيضاء. مؤسسها جوناتان تورز [18]،ما جعلها من أبرز المجلات الصهيونية في المغرب.

والجدير بالإشارة أن هذه الصحيفةكانت تقوم بحملات شنيعة ضد كل من لايخدم توجهها سواء من اليهود أو المسلمين وحتى سلطات الحماية، فقد شنت حملة على اليهود الذين نعتتهم ب"البلوتوقراطيين" وهم "أثرياء مرس السلطان"، واعتبرت أنهم يقومون بتحسين مداخيل صندوق

13 – عندما عاد العاهل للرباط، بصفة خاصة بما قد يحدث من مواجهات أو اضطرابات بين المسلمين واليهود نتيجة تطور الأوضاع بفلسطين، وهو الأمر الذي يمكن أن تتسبب فيه نداءات الفرع المغربي للفدرالية الصهيونية الفرنسية، فمن مدينة الدار البيضاء كانت تلك الفدرالية تحث "الإسرائيليين المغاربة على المشاركة في تحرير فلسطين (قصد تأمين)عودة اليهود إلى مواطن أسلافهم" ولكي تبرز قدراتها القتالية، فإنها أحيت انتفاضة "غيتو"فارسوفيا بكثير من الصخب والبهرجة – ولتجنب هذه المخاطر استدعى سيدي محمد بن يوسف ممثل الجماعة اليهودية إلى القصر الملكي، ودعاهم إلى ثني إخوانهم في الدين عن الانخراط في الحركة الصهيونية، وحثهم على البقاء متشبثينبمغربيتهم...(محمد كنبيب، يهود المغرب، م س، ص 271). ونذكر هنا بأن أغلب ما كتب من طرف اليهود والكثير من الفرنسيين منذ شارل دو فوكو مرورا بشماش وموني وأندري شوراكي... ركزوا كلهم وبالأساس على المأساة.

14 - ABITBOl .M ; «colonialisme et relations judéo-musulmanes» . in, Relations Judéo musulmanes (perception et Réalites), Ouvrage collective,dirigé par Michel Abitbol. 1997, p.165

15 – محمد كنبيب، يهود.... مرجع سابق، ص ص292–283.

16 - LEVY Simon ;Essais D'Histoire & de Civilisation Judéo-Marocaines. Rabat 2001, p.132.

17 - COHEN David, « Lyautey et le Sionisme (1915-1925)», Revue française d'histoire d'outre-mer, vol. 67, 3em 4em trimestre 1980,p. 188

18 – وهو يهودي من أصل بولوني، كلف بمهمة مندوب الاتحاد الصهيوني العالمي في المغرب في منتصف العشرينات القرن العشرين، استقر منذ مدة وجيزة بالدارالبيضاء قبل تأسيس الجريدة. وأحاط نفسه بصحفيين "ملتزمين" بالصهيونية، سواء كانوا رعايا أجانب أو متجنسين...

19 – محمد كنبيب، يهود...، مرجع سابق، ص 133

الفقراء، على حساب تلك الفئة المعوزة نفسها من خلال الرسوم المفروضة على اللحم والخمر "الكاشير" (الحلال اليهودي) المقتطعة من مشترياتهم الهزيلة [19]. كما استغلت أحداث الدار البيضاء، الرباط، القصر الكبير وطنجة... التي أعقبت المؤتمر الإسلامي بالقدس لسنة 1931، وجعلت لها صدى مدويا، ووظفتها كأداة لتعميق الكراهية بين المسلمين واليهود من خلال سلسلة مقالات دخلت بها في سجال مع صحافة الحركة الوطنية [20].

وعلى الرغم من صدور دوريات يهودية مخالفة للتوجه الصهيوني، وتدعو للاندماج في الأفق الفرنسي مثل "الوحدة المغربية" (MarocaineUnion) التي أصدرها إيلي نتاف (1940–1932)، لكن لهجتها الحادة في نقد الصهيونية، نفرت الشباب اليهودي منها، بل ودفعهم إلى مزيد من الارتماء في حضن الفكر الصهيوني[21]. كما صدرت صحف ودوريات يهودية بالدار البيضاء سواء باللغة الفرنسية ((Bulletin de lafédération الصادرة عن فدرالية قدماء الرابطة (L'A.I.U) أو بالدارجة اليهودية مثل: (La Lumiére du Maroc) أو (Maghen David) [22].وبعد الحرب العالمية الثانية جريدة "نوار" (Noar)، وفي سنة 1950 "صوت الطوائف" (la voix des communautés) الناطقة باسم الطوائف اليهودي [23]. كل هذا سهل على الصهيونية اختراق اليهودسواء الذين تلقوا حدا عاليا من التعليم وذلك باسم القيم الانسانية والحرية، أو الذين اقتصر تعليمهم على "اليشيفا" [24] حيث تم اعتماد الجانب الديني العاطفي في استمالتهم.

الزيارات:

أخذت الدعاية بعدا عمليا من خلال زيارات ميدانية لشخصيات صهيونية تقوم بنشر أفكارها عبر سلسلة محاضرات ولقاءات، بعضها كان علنيا وأكثرها اتخذ الطابع السري. فمباشرة بعد رحيل ليوطي، فتح الباب نسبيا أمام الحركة الصهيونية للتواصل مع يهود المغرب بشكل مباشر، خاصة وأن خلفه تيودور ستينغ لم يكن بنفس يقظته، بل إن جواب التهنئة الذي بعثه مندوب اللجنة التنفيذية الصهيونية بالمغرب، بين أنه منفتحا أكثر ومن ضمن ما ورد فيه: «...متأكد بأن الأمور ستسير في المغرب على نفس النحو الذي سارت عليه الأمور في الجزائر، وبأنه يولي عناية خاصة لفرض احترام كافة المعتقدات بكيفية مطلقة (وأنه سيظل) متعلقا بشكل راسخ تجاه الصهاينة بنفس المبادئ الموجهة للسياسة المتبعة من لدن الحكومة الجمهورية داخل عصبة الأمم...» من جهة، كما كان للزيارات الميدانية دور في تأجيج الحمية الصهيونية، خاصة بعد الخيبات التي منيت بها وعلى رأسها اهتزاز صورة الصهاينة بفعل « ما صدر في حقهم من كلام تطبعه المرارة، من طرف "المهاجرين" الذين اضطروا للعودة الى المغرب بعد رحيلهم إلى فلسطين 1912 – 1922، ناهيك عن طرد البعض منهم قبل أن تطأ أقدامهم مدينة يافا»[25].

20 - ABITBOI .M. «colonialisme....op.cit. p. 165

21 – ايتنجر صمويل، اليهود...، مرجع سابق، ص 397

22 – محمد كنبيب، يهود...، مرجع سابق، ص 138.

23 - LEVY Simon ;Essais D'Histoire ..., p.132-133

24 – الياشيفا: مؤسسة دينية تقليدية يلتحق بها اليهود الذين يتراوح عمرهم مابين 13و 18 سنة ، تؤهل المتعلم ليصبح حاخاما.

25 – محمد كنبيب، يهود...، مرجع سابق، ص ص 116–115

يمكن التمييز في هذه الزيارات بين نوعين، ما امتد زمنه واتجه نحو استقرار دام لسنوات في إطار مهام صهيونية محددة مثل جوناتان توزر، أو الروسي ليون جالفون، الذي أصبح حاخاما أكبر لمدينة الدار البيضاء (هو من يهود فلسطين)، بعد استقر بها، وكانت له مساهمة كبرى في الاختراق الصهيوني، أو زيارات توجيهية لم تدم الا أسابيع.

كما كان للرحلات الداخلية دورا هاما في التعبئة الصهيونية، ولعل أبرز وجه نسائي فيها هو الأستاذة هيلين كازاسبنعطار (Hélène CazesBenatar)[26] التي استقرت عائلتها بمدينة الدار البيضاء منذ 1918، ملتزمة صهيونية، وشاركت في تأسيس فرع W.I.Z.O. (الجمعية العالمية للنساء الصهيونياتبالدارالبيضاء) وكانت أول رئيسة لها. وبعد وفاة زوجها سنة 1939، انخرطت بكل قواها في مبادرات لفائدة ضحايا الحرب العالمية الثانية من اليهود. وتطوعت في الصليب الأحمر بالدارالبيضاء،حيث تم استقبال العديد من اللاجئين الأوربيين، بعد ان تحولت إلى ممرضة. وتحت رعاية Joint (منظمة أمريكية)، نظمتلجنة استقبال اللاجئين الأوربيين. وأصبحت ممثلة Joint في إفريقيا الشمالية، كما دعمت أيضا المنظمات الصهيونية التي تحملت تكاليف المهجرين نحو فلسطين.

تم استغلال البيعات أيضا[27]، ولدينا بعض الأسماء الحاخامية والتي لانميز في فكرها بين السياسي ذي البعد الصهيوني والديني، فقد كانت مواعظهم أداة لتهييئ وإعداد المؤمنين من اليهود لتقبل الأفكار الجديدة، لأنها من أدوات الدعاية، التي ساهمت في تهييئ النفوس، قبل الانتقال الى الاجراءات العملية.

ونبه مشيل بوطبول إلى أن اتساع الهوة وضعف التواصل بين المسلمين واليهود قبيل الحرب العالمية الثانية، كما أشار إلى تسمم العلاقات بينهماوعمق القلق بين الجانبين بفعل عاملين خارجيين وهما: القضية الفلسطينية والدعاية الجرمانية الإيطالية[28].

العنصر الثالث: المؤسسات

تدخلت عدة مؤسسات للمساهمة في عمليات التهجير، وكان دورها حاسما باعتبارها أداة تأطير، وفي نفس الوقت تقوم بمهام تنفيذ التهجير؛ ومنها مؤسسة الرابطة اليهودية العالمية(A.I.U) التي تأسست منذ 1860 بباريس، وبدأت تنشط بالمغرب انطلاقا من 1862 بتأسيس أول مدرسة بتطوان، وبعد ذلك ستمتد لتشمل كل المغرب. كان عملها يأخذ عدة اتجاهات متوازية، من خلال روابط محلية وجهوية، تختلف مناطقها وتلتقي في خدمة اليهودي، قبل أن تتجه نحو صهينةأنشطتها – بعد أن

26 – بدأت مسارها الدراسي في طنجة في مدرسة الرابطة بنات، وتابعت دراستها الاعدادية و الثانوية للبنات بالدار البيضاء، حيث حصلت على الباكالوريا، وهي من أوائل اليهوديات الحاصلات عليها. تزوجت سنة 1920 من السيد موزيسبنعطار الذي سيحتل مناصب مهمة في الطائفة اليهودية المحلية، منها رئيس جمعية قدماء تلاميذ الرابطة (l'A.I.U.)بالمغرب. بعد حصولها على شهادات من جامعة بوردو، اصبحت أول امرأة محامية بالمغرب. وقد مارست مهنتها لمدة نصف قرن. شاركت أيضا في العديد من الأعمال الإحسانية لفائدة جماعة الدارالبيضاء: (قطرة الحليب، الحضانة، الدعم المدرسي...).

27 - COHEN David, « Lyautey...» , p.1992:192

28 - TSUR. Yaron ; L'«exode de Fes » sur les origines de l'imigration sioniste du Maroc, Ouvrage collectif; la bienvenue et l'adieu migrationjuifs et musulman au Maghreb XVème –XXèmesiècle, dir. Frédéric Abécassis, Karima Dirèche et Rita Aouad , Casablanca 2012. volume 2,p.13

كانت من أشد معارضيها– وذلك من خلال ثلاث مستويات:

- المجال التعليمي: تم خلق ثلاث روابط بمدينة الدار البيضاء كانت مهمتها الإشراف على التعليم العبري وهي: رابطة "ماجين داود" ورابطة "محبي اللغة العبرية" ورابطة "كارل نيطر". و لم يتلق التلاميذ دروسا في اللغة العبرية فحسب وإنما تلقوا لاحقا محاضرات عن تاريخ الاستيطان والفكر الصهيوني [29].

- المجال الاحساني: بدأت عمليات الانتباه الخارجي ليهود المغرب منذ منتصف القرن التاسع عشر، وقد أثيرت في المؤتمرات الدولية التي عقدتها القوى الإمبريالية سواء في 1880 أو بعدها. ومنذ نهاية القرن ازداد الاهتمام ببؤس اليهود...ما سمح لكثير من المؤسسات الدولية بالتدخل. وقد كانت أولاها الرابطة اليهودية العالمية خاصة الفرع الفرنسي الذي كان يتلقى الكثير من الشكاوى حول الظلم الإداري أو طلبا للإغاثة المادية، مالية كانت أم عينية [30].

في هذا الإطار تدخلت الرابطة عبر عملها الاحساني، وركزت على الحالات الأكثر إملاقا من خلال دعم ومساعدات عينية ومالية مباشرة لحماية الوجود. ثم بعد ذلك بتحسين ظروف العيش عبر إحداث مجموعة من المستوصفات والزيارات الصحية إلى الملاح [31].

كانت الدار البيضاء أهم مركز جديد لإنتاج البؤس الاجتماعي، إذ أنه في سنة 1936، كان بها حوالي 70 ألف يهودي، وقد تشكل ربعهم من العاطلين والمتسولين [32] ما أدي إلى تقاطر الإمدادات المالية حيث وصل الاحتياط المالي (من الميزانية) في دجنبر 1948 الصادر عن مجلس الطوائف بالدار البيضاء إلى 18799949،04 فرنك مبتعدة عن مكناس التي تتوفر على ثاني احتياطي ب 2381556،25 فرنك [33].

وهكذا انتشرت "أعمال الخير" خاصة بعد 1945م بإقامة شبكة من المدارس الممولة والمراقبة من طرف قوى مركزها الولايات المتحدة أو جنيف. ومنظمات حملت دعما قويا من أجل تخفيف البؤس [34] ومحاربةالجهل، وضعت خططا اجتماعية للدعم الواسع للتكوين المهني. لكن في نفس الوقت كانت خاصيتها أنها حصريا يهودية، أي أنها منغلقة في وجه المتساكنين معها من المسلمين، لكن خلقت لها روابط جديدة من التبعية باتجاه مراكز القرار البعيدة، التي كانت تجهل هوية اليهودية المغربية [35].

ومن جهة أخرى، كانت كل هذه الأعمال أداة في يد رؤساء التجمعات والروابط الصهيونية، ساهموا من خلالها في الإبقاء على نوع الخلط بين الطبيعة الدينية للصدقات والهبات التقليدية لجماعات

30 – ايتنجر صمويل، اليهود...، مرجع سابق، ص397.

30 - LEVY Simon :Essais D'Histoire …, p.121

31 – كان الملاح يواجه ثلاث امراض اساسية ويرمز لها بحرف "T" وهي: (tuberculose ; trachome ; teigne)

32 - ABITBOl .M. «colonialisme…,op.cit. p. 163

33 - CHOURAQUI André : la Condition Juridique de l'Israelite Marocain, paris, 1950, p. 277

34 – تيمة بؤس الملاح أثيرة لدى الكثير من الكتاب، وقد وظفت بشكل كبير في الدعاية الصهيونية، وحتى 1950 يكتب أندري شوراقي:

« C'est ainsi que naquirent les « Mellah » quartier entièrement crées par les juif ; à l'intérieur des quels ils vécurent pendant des siècles dans des conditions misérables… »

CHOURAQUI André : la Condition … , opcit. p. 178."

35 - LEVY Simon :Essais D'Histoire …. p.121

"الارض المقدسة" والمساهمة في الشيكل لدا الجمهور العريض على الأقل. كما كان شراء سندات "الشركة العقارية..." يقدم علاوة على ذلك حتى للسلطات كتعبير عن رغبة المساهمين فقط في ضمان مكان "بالجنة" (36). ما انتبه له ميشيل بوطبول عندما لاحظ أن كل شيء تم إخراجه بعناية من السياق السياسي، بما في ذلك الصهيونية التي حافظت دائما على حِلمها وطيبوبتهاوسلميتها في مجتمع الإحسان (37).

انتقلت الحركة الصهيونية إلى سرعة أكبر في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، مستثمرة مجهوداتها التعبوية السابقة، وأدوات الدعاية الجديدة، والتعاطف الدولي... ومن هنا عملت على خلق مؤسسات جديدة قادرة على إنجاز تحديات المرحلة المقبلة والمرتبطة بتوفير شروط حياة الدولة الجديدة، أي الاستيطان في الأراضي الفلسطينية، وكان المغرب ضمن اهتماماتها الأساسية لتوفره على أكبر خزان بشري في العالم العربي.

إن أغلب هذه المؤسسات كانت أداة للتهييء النفسي، أما مؤسسات الإعداد المادي والتنفيذ فقد كانت متعددة، لكن أهمها على الإطلاق هو " القدمة"/Kadima (كلمة عبرية تعني إلى الأمام، وهي مؤسسة صهيونية)، التي بدأت تنشط ميدانيا منذ1947 بمدينة الدار البيضاء، وأسست مركزا لإيواء اليهود المرشحين للهجرة. ثم جمعية دعم الهجرة اليهودية HIAS)) اضافة إلى (Misgueret) (38) التي لن تظهرا بشكل جلي إلا في المراحل اللاحقة.

ثالثا: مراحل التهجير.

من الصعب الحصول على ارقام مضبوطة نظرا للطابع السري لهذه الهجرة وكذا لعدد المتدخلين الذين لم تكنلهم رغبة في التعرف على تواطئهم في هذه العملية.

تعددت تحقيبات الباحثين لمراحل تهجير يهود المغرب، ولا يبدو أن عامل الزمن كان له تأثير في ذلك بقدر ما كان المؤشر هو أعداد المهجرين. وبشكل عام، يمكن إيجازه في ست مراحل وهي:

1 – المرحلة الأولى أي ما قبل 1948

تمتد من 1912 إلى منتصف العقد الثالث، وتتميز بغلبة السياق الاستعماري، وترتبط الهجرة في هذه المرحلةبالاستعداد لإنشاء" وطن قومي لليهود"، لكن نتائجها كانت جد محدودة لعدة اعتبارات منها:

أن اليهود وخاصة رجال الأعمال والأثرياء والمثقفين بالدارالبيضاء، كانوا ينظرون إلى فرنسا باعتبارها هي المخلص، وهي نفس النظرة التي تبناها رجال الدين. ولهذا ساد دعم مخططاتها، والتي

36 – محمد كنبيب، يهود...، مرجع سابق،ص104.

37 - ABITBOl .M, «colonialisme…»,op.cit. p. 164.

38 – منظمة سرية أسست من طرف الموساد

ارتقت إلى مطلب الاندماج مع فرنسا، وقدعبر الربي جوزيف مساس عن معنىبداية احتلال فرنسا للمغرب بالنسبة لليهود ومماقاله: "قدم الفرنسيون واحتلوا المدينة، كان اليهود فرحين حيث تغير نمط عيشهم، ازدهرت التجارة والصناعة، وارتقى اليهود في السلم الاجتماعي، غرسوا الكروم ونسوا نهائيا الهجرة إلى الأرض المقدسة" (39).

كما ساهم موقف الصهاينة الأوائل من السيفرديم، في تثبيط عزم من يرغب في المغامرة، سواء بعد رفض الاعتراف بالفرع الصهيوني المغربي الذي تأسس سنة 1910، أو بعد الصدمة التي مني بها حوالي أربعمائة يهودي مغربي من فاس، صفرو ومكناس. في بداية العشرينيات من القرن عقب هجرتهم "alyah" والتي وصف الحاخام حاييم أوفاديالاجواء التي تتم فيها العملية قائلا: « نحن على وعي أن مجموعة من متدينينا متأثرين بشدة، ومتحمسين للذهاب إلى المدينة المقدسة"القدس" في هذه الفترة، ليحقق الله عاجلا هذه الأمنية. لقد دفعهم هذا الشغف المتأجج إلى احتقار المال والذهب، وبيع ممتلكاتهم ومواشيهم بأسعار بخسة، ويأملون بأنهم عندما يصلوا إلى هناك أن يتمكنوا من استعادة ثروتهم بفضل التجارة والحرف كما كان الأمر دائما بالنسبة لهم في مدنهم بالمغرب» (40)، لكن النتيجة كانت كارثية بكل المعاني.

إن تاريخ هذه الهجرة مرتبط بوعد بلفور(2 نونبر1917)، ومؤتمر سان ريمو(1920)، إضافة إلى بداية الانتداب البريطاني في الأراضي المقدسة. وقد استقبل وعد بلفور في المغرب بكثير من الحبور، كما الأمر بالنسبة لكل العالم اليهودي، وتم تدبيج قصائد دينية على شرفه، وبالنسبة لبعض الحاخامات فهو "بداية التحرير"، وقد كتب الحاخام ذافييدداننينوما يلي:« سيتم إنقاد صهيون بالعدل وسكانها بالإحسان» يعني أن صهيون، على المسرح الدولي، سيتم إنقاذها أيضا بالعدل الدولي، وسكانها بإسرائيل بالإحسان، عن طريق "كارين حاييسود" أو "كارين خاييميت" و"الشيكاليم". وقد منحنا الله حكومة بريطانيا العظمى، اليد القوية لجلالة الملك جورج الخامس، لتمتد مملكة سعادته، والذي وهبنا هذا التصريح على يد معاونه الأكبر لورد بلفور أصبغ الله عليه رحمته » (41). ويعود فشل التجارب "التهجيرية" في هذه المرحلة المبكرة إلى خمسة عناصر:

سياسة ليوطي :

أولى المقيم العام الفرنسي بالمغرب "الماريشالليوطي"، بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، قدرا كبيرا من الاهتمام بكافة القضايا الخاصة بأوضاع اليهود؛ وقد كان متخوفا من أن يؤدي تأثر اليهود ببعض العوامل الخارجية مثل الصهيونية أو بالضغوط التي يمارسها يهود أمريكا، إلى استغلالهم لخصوصية وضعهم الديني الثقافي، وثقلهم الديمغرافي للمطالبة بالحصول على بعض الحقوق والامتيازات في إطار المجتمع. وقد رفضت هذه السلطات بشكل قاطع، استنادا إلى ظهير 24 ماي 1914 الملتمسات التي

39 - SAADOUN ,Haïm ; Histoire familiale…, op.cit,V3, p. 40

40 - Idem. Vol 3,p.41

41 - Idem. Vol 3,p.42

قدمت لها بشأن إحداث تجمعات صهيونية، خاصة بفاس وآسفي والصويرة ووجدةوالدار البيضاء [42] وبررت فرنسا رفضها أيضا بأن أعلنت أنها تتمسك بميثاق مدريد الذي نص على أن يهود المغرب من رعايا السلطان" [43].

وتحكم عاملان رئيسيان في طريقة تفكيرليوطي عند قيامه برسم الأطر التنظيمية للطائفة اليهودية وهما:

- فرض أقصى درجة من القيد على الحكم الذاتي الداخلي لليهود.
- الاشراف الشامل على مختلف أنشطة مؤسسات اليهود.

لهذا الغرض أصدر سنة 1918 ثلاث ظهائر أقرت أسس تشكيل لجان الطوائف والمحاكم الحاخامية،واقتصرت صلاحيات هذه اللجان على أمور العبادة والأنشطة الخيرية [44].

وجود يحيى زاكوري [45] على رأس مفتشية المؤسسات الإسرائيلية:

شغل يحيى زكوري هذا منصب المسؤول الأول على هذا المجلس [46]، ومن خلاله تعززت المراقبة على الجماعة اليهودية، عن طريق الحد من اختصاصات المجالس التي انحصرت صلاحياتها في البث فيما يتعلق بشؤون العقيدة والأعمال الخيرية، بالإضافة إلى أن اختيار معظم أعضائه عن طريق التعيين [47]. وكانت مواقف الرئيس تعكس الآمال المعلقة على التغييرات التي ستساهم في تحسين حياة يهود المغرب، ما اعتبر انتصارا لدعاة الاندماج.

أن مدارس الاليانس كانت تتخوف من أي هجرة تفقدها دورها الاجتماعي.

أن الصهيونية العالمية لم تعط أهمية ليهود الشرق (السيفارديم)، بل كان كل همهم منصب على تهجير يهود أوربا وروسيا لاعتبارات ثقافية [48].

42 – محمد كنبيب، يهود...، مرجع سابق،ص.111–110

43 – نفسه، ص 364

44 – الجريدة الرسمية :

– ظهير شريف في تنظيم الماكم الاسرائيلية ومحرري الوثائق.

– ظهير شريف في تنظيم لجن جماعات اليهود .

– ظهير شريف في تأسيس محكمة اسرائيلية عليا.

45 – ناحوم شلوش يهودي من بولندا، مؤلف كتاب" دراسات في اليهود واليهودية بالمغرب " الصادر سنة 1906–1905، إضافة الى العديد من المقالات. كان له طموح في الحصول على هذا المنصب، وقد سعى بكل الوسائل لذلك، لكن ليوطي فضل الاستغناء عن خدماته وتعويضه ب "يحيى زاكوري" وهو ترجمان سابق بالقنصلية الفرنسية بالدار البيضاء أصبح مواطنا فرنسيا، وتم توشيحه سنة 1913 بوسام صليب جوقة الشرف مكافأة له على سلوكه البطولي خلال أحداث غشت 1907 " وعينه المقيم العام على راس مفتشية المؤسسات الإسرائيلية التي أحدثت سنة 1919" وكان من مهامها إعادة تنظيم مجالس الجماعات اليهودية حسب (ظهير 22 ماي 1918) والمحاكم الحاخامية في مجموع المنطقة الفرنسية. من بين النتائج الأساسية للعمل الذي أنجزه زاكوري بمساعدة القنصل السابق بالصويرة "راوول مارك Raoul Marc " الذي رقي إلى رتبة مستشارا، أن أصبح الاستقلال الذاتي الذي كانت تتمتع به أحياء اليهود في السابق على الرغم من محدوديته متقلصا بدرجة كبرى، وربط اليهود بالحماية اكثر، وهوما مثل انتصارا لفريق الاندماج.

46 – ايتنجر صمويل، اليهود...، مرجع سابق، ص ص362–361

47 - CHOURAQUI André ; la Condition … , opcit, p. 181

48 - COHEN David, « Lyautey …,p.181

خيبة أمل صهاينة المغرب عقب الفشل الذي منيت به هجرة بعض يهود المغرب نحو فلسطين، بعد عودتهم مطرودين من هناك، وما صدر عنهم من كلام تطبعه المرارة في حق صهاينة المغرب. خاصة وأن البعض منهم طرد قبل أن تطأ أقدامه مدينة يافا [49].

ومن أجل نفس جديد أعطى رحيل ليوطي سنة 1926 نفسا للنشاط الصهيوني، تجلت بوادره في الرسالة الجوابية التي وجهها تيودور ستييغ(المقيم العام الفرنسي الذي عوض ليوطي) إلى مندوب اللجنة التنفيذية الصهيونية، تحمل عبارات المودة والمجاملة، مع الاشارة إلى يهود الجزائر الذين سبق لهم أن استفادوا من قانون كريميو، ما اعتبر إيذانا لمرحلة جديدة. هكذا سيتجدد النشاط الصهيوني بشكل أكثر رحابة وقبول، وسيكون من نتائجه عقد أول مؤتمر صهيوني بمدينة الدار البيضاء 19–18 يناير 1936، والذي ضم ممثلين عن المناطق الثلاث (السلطانية – الخليفية – طنجة الدولية)، ما أعطى دفعة قوية للنشاط الصهيوني.وقد تعزز ذلك خلال المؤتمر الصهيوني الثالث الذي انعقد بالدار البيضاء في –6 7 فبراير1938.

وفعلا فكل المراحل اللاحقة كانت تحمل عناصر لا يمكن للدعاية الصهيونية إلا أن توظفها في قضيتها. فبالنسبة للمتربول تميز بوصول قوى يسارية بزعامة ليون بلوم إلى رئاسة الحكومة الفرنسية،والذي لم يكن يخف ميله للأطروحة الصهيونية. كما أن المغرب كان يعرف ظروفا اقتصادية خاصة، تجلت في الجفاف القاسي لسنتي1936/37، وأحد تأثيراته أن ربع يهود الدارالبيضاء أصبحوا في وضع متسولين، إضافة إلى أن مركز اهتمام نوغيس– لاحقا – كان هو العمل على قمع الحركة الوطنية الناشئة... إذا هذا هو الاطار العام للمرحلة وهو ما شجع الصهاينة على دعم النشاط التبشيري ب"Alyah".

تزعم الحملة الدعائية جريدة «L'Avenir Illustre» قبل إغلاقها سنة 1938، كما انطلقت الجولات الميدانية للتعريف بالقضية الصهيونية، وكانت أغلب الشعارات تركز على ضرورة الإسراع بإنشاء"الوطن القومي" لليهود، في مواجهة "إرهاب العرب"، إضافة الى طلب الدعم المادي الذي كانت تحتاجه المرحلة.

عطلت انشغالات الحرب العالمية الثانية المسار، وحولت الاهتمام نحو جهود الحرب ولن يستأنف إلا في نهايتها، خاصة سنة 1947: فمن الدارالبيضاء كان الفرع المغربي للفيدرالية الصهيونية الفرنسية، يحث "اليهود المغاربة"على المشاركة في"تحرير فلسطين" قصد تأمين عودة اليهود إلى "موطن أسلافهم"[50].

– تم التحضير للنقل السري لليهود المغاربة بكيفية ممنهجة فور انعقاد مؤتمر اتلانتيك سيتي (1944)، وتزايد ترحيل مجموعات منهم بكيفية تدريجية ابتداءً من سنة 1947، وقد تميز بسهولة قبوله نظرا لوجود استعداد مسبق لدى السواد الأعظم من اليهود لصالح هجرة صُورت لهم باعتبارها عملا محمودا وتحقيقا لل"وعد التوراتي" [51].

49 – محمد كنبيب، يهود...، مرجع سابق،ص. 116–115

50 – نفسه، ص271

51 – نفسه، ص255

ورغم كل ذلك فقد كانت حصيلة المرحلة مخيبة لآمال الصهاينة، على المستوى البشري، وهو ما توضحه الاحصائيات الرسمية الصادرة عن الوكالة اليهودية بالنسبة لمجموع دول شمال افريقيا:

الفترة	عدد المهاجرين
مابين: 1919 و 1923	51
مابين: 1924 و 1931	30
مابين:1932 و 1938	94
مابين: 1939 و 1945	251

جدولتطور عدد المهاجرين اليهود مابين 1919 و 1945 [52]

لكنها تمكنت من تثبيت جذور الفكر الصهيوني بشكل كبير، واحتاجت فقط إلى "طُعم" جديد ومؤثر لتحقيق أهدافها، ما حدث انطلاقا من المرحلة الموالية.

المرحلة الثانية: 1948 – 1956.

شهدت هذه المرحلة موجة نزوح يقدرها البعض ب 90 ألف نسمة،وتصل احيانا أرقاهما إلى100ألف [53]، والتي رأى شمعون ليفي أنها ناتجة عن بؤس اقتصادي عاشه اليهود "الذين استغلتهم القوى الامبريالية". أما روبير أصراف فقد ارتأى انها استجابة "لنداء ديني"، على اعتبار أن أرض إسرائيل ستمنح الأمن الروحي المختل للألاف من صغار التجار والحرفيين المفلسين بفعل العصرنة التي حملتها الحماية"، وهو ما يعني مزجا بين عوامل مادية وأخرى روحية، في حين اقتصر آخرون على اعتبارها نتيجة لهَبة دينية.

سبق أن عقدت الفدرالية الصهيونية بالمغرب مؤتمرها بالدار البيضاء، و لم يتم قبولها إلا سنة 1945 بعد أن تغيرت المعطيات الدولية عقب الحرب العالمية الثانية، ومن هنا أرسلت المنظمة الصهيونية العالمية مجموعة من المبعوثين، مكونة من أطر شابة مهيأة لهذا الغرض، وسينتقلون إلى القرى والأرياف، إذ بلغ عددهم سنتي 1950–1949 حوالي سبعين فردا مكلفين بالتهجر من شمال افريقيا. وقد حولت الحركة الصهيونيةوجهتها نحو العالم العربي لتوفير الجنود، واليد العاملة الغير متخصصة للعمل في المعامل،

52 - SAADOUN ,Haïm ; Histoire familiale…, op.cit,V3, p. 43
53 - NOIN , Daniel ; La population du Maroc ;In: L'information géographique. Volume 26 n°1, 1962,p.11

والمزارع وكذلك تعويض الساكنة الفلسطينية، وخلق وضعية معكوسة. وكان من الطبيعي الاهتمام بالمغرب الذي يعتبر أكبر خزانلليد العاملة حيث إن عدد يهوده يتجاوز 250 ألف. و لم تكن فرنسا، في ظل الجمهورية الرابعة، البلد الحامي للمغرب أن تعارض هذه الحركة التهجيرية، لأنها مؤيدة لإسرائيل، حليفها ضد حركات التحرر العربية [54].

لقد كانت هذه المرحلة وبامتياز مرحلة"كاديما"التي تمكنت منذ 1947، انطلاقا من مكاتبها بالدار البيضاء و"فروعها" بمراكش والصويرة ومكناس وفاس وفتحت مخيما بالجديدة يسع 20 ألف مرشح للهجرة، من برمجة "اجتثاث وترحيل" جماعات بأكملها، خاصة الجنوب، وهي مناطقأصبحت ملاحاتها مهجورة أو في طريق الزوال. وكانت "كاديما" تقوم بعملها نظرا لتساهل سلطات الإقامة العامة وتواطؤ القواد، بشحن اليهود ليلا في حافلات تنقلهم عبر الجزائر، وحتى موانئ مغربية إلى مرسيليا، ومنها إلى إسرائيل.

دخلت الوكالة اليهودية في اتصال مباشر مع العائلات منذ 1949م، وكان أعضاؤها يتخفون تحت يافطة جمعية إحسانيه، وكانت "منظمة التأهيل بواسطة العمل" (O.R.T) تبعث من جهتها العديد من المراهقين للتوجه رسميا إلى "مخيمات" بفرنسا وكان ذلك يتم في بعض الأحيان ضد إرادة الآباء، ولا يتم إرجاعهم أبدا إلى المغرب [55]. كما نشطت جمعية H.I.A.S (جمعية أمريكية تعمل في مجال الهجرة) – بشكل سري – تجاه كل من كندا والولايات المتحدة الامريكية. بسبب تجديد السلطان معارضته "للهجرة الطوعية لليهود لمحاربة اخوانه في فلسطين"، ورغم أن الحصيص الساري المفعول هو 600 يهودي في الشهر، فقد غادر حوالي 100 ألف منهم غداة أفول الحماية.

لقد كانت الحصيلة انهمابين 1948 و 1949 فقط غادر المغرب 15000 يهودي، حوالي 7 % من الساكنة اليهودية المغربية، وبسرعة استوطنوا إسرائيل. الجزء الاكبر من هذه "alyah" كان بطريقة سرية، سواء بالنسبة لمغادرة المغرب، أو الدخول الى اسرائيل [56].

أحصت سلطات الهجرة "الإسرائيلية"، خلال مرحلة الهجرة الكبرى ليهود المغرب، مابين 1956–1941، دخول 115496 يهودي إلى "إسرائيل"، وقد كانت قوية جدا مابين 1951–1950، لتنخفض نسبيا سنتي 1952 – 1953، وارتفع الرقم خلال سنة 1954 من جديد. ويوضح حجم الهجرة القادمة من المغرب بين سنتي 1955 و1956 أهمية عامل "استقلال المغرب".

لا تسعف المعطيات المتوفرةمن تتبع المناطق التي نزح منها هؤلاء المهاجرين خلال مرحلةالاستعمارية، وهي إحدى الخاصيات المثيرة، باستثناء الدار البيضاء كانت بالأساس مدينة النازحين اليهود [57]، لكنها أيضا معبر مرور أساسي إما نحو المخارج السرية البرية مثل وجدة، جرادة... أو البحرية مثل الحسيمة وطنجة، أو مباشرة عبر المطار.

54 - LEVY Simon ;Essais D'Histoire ..., p.137

55 – محمد كنبيب، يهود...، مرجع سابق،ص.ص 297–296

56 - SAADOUN ,Haïm ; Histoire familiale.... op.cit.V3. p.45

57 - SAADOUN ,Haïm ; Histoire familiale .... op.cit.V3. p. 50

3) **المرحلة الثالثة:** 1956 – 1961.

تميزت هذه المرحلةبجو التعبئة الوطنية، والرغبة في بناء المغرب المستقل، وقد وقع نوع من الالتفاف بين كل الوطنين، مسلميهم ويهودهم. ما عبر عنه تشكيل أول حكومة مغربية للمرحلة والتي ضمت وزيرا يهوديا (د. بنزنكيين وزير البريد والمواصلات)، كان الهدف طمأنة العديد من الجهات وعلى رأسها يهود المغرب. لكن نزيف التهجير) [58] وإن استمر فقد كان أقل من حمأة المرحلة السابقة، خاصة وأن مجموعة من اليهود انخرطوا فيما يشبه إجماع وطني حول بعض القضايا ومنها إصدار بيان يدين الاعتداء على مصر 1956.

خلال نفس المرحلة، صدر ظهير الجنسية(ظهير شريف رقم250. 58 .1: 2190)، الذي فرض أن تكون الهيات المسيرة لجميع الجمعيات مغربية، وقد كانت له نتيجتين هامتين، تتعلق الأولى بوصول فريق جديد لمكتب الطائفة اليهودية بالدار البيضاء بعض أعضائه منخرطين في حزب الاستقلال وآخرون في حزب الشوري والاستقلال إضافة إلى الحزب الشيوعي. وقد مكن من دخول العديد من اليهود إلى الغرف المهنية، بل إن عددا مهما من اليهود انتخبوا في أول انتخابات بلدية خاصة بمدينة الدار البيضاء. أما النتيجة الثانية فكانت تتعلق بأن لا تتلقى هذه الجمعيات أمولا أجنبية، وهو ما أعاق المخططات الصهيونية [59]. كما أنه في نفس الفترة تم فرض إدخال ساعتين للغة العربية في كافة مدارس الأليانس. وقدمكن هذا التوجه من تقليص حدة الهجرة التي لم تتجاوز سنة 1959،3838 يهودي، وسنة 1960 حوالي 4800 [60].

لكن هل تمكن هذا الجو الوطني من إخماد أجيج الحماسة الصهيونية وحاجتها إلى العنصر البشري؟ وهل يمكن لإجراءات عملية أن تمحو عقودا من العمل الحثيث والعميق الذي أنجزته أدوات الدعاية الصهيونية؟ وهل الأجواء الدولية تسمح بالذهاب بعيدا في هذا الاتجاه الوطني والوحدوي؟

4) **المرحلة الرابعة:** 1961 – 1967

شهدت هذه المرحلة نزوحا كبيرا لليهود نحو الحواضر الكبرى، إذ انتقل 80% منهم إليها، وتركز في الدار البيضاء لوحدها 72 ألف أي ما يمثل 45% من مجموع يهود المغرب [61].

هذه المرحلة قادتها ثلاث جهات: وهي الدولة المغربية ممثلة في أعلى مستوياتها، الدولة العبرية عبر الموساد، ثم منظمة HIAS الأمريكية التي تكلفت بنقل المهَجرين. وقد ساهم في تحرير المغرب من التزاماته الأخلاقية اتجاه يهوده ثلاث عناصر:

---

58 - NOIN , Daniel : La population ... ; op.cit. p.11
59 - LEVY Simon :Essais D'Histoire p.141
60 - Idem. Même page.
61 - NOIN , Daniel : La population ... ; op.cit. p.9

- حضور عبد الناصر لمؤتمر القمة الإفريقي(7–4 يناير 1961) [62] لإشعال الفتيل من جديد [63].

- وفاة محمد الخامس، الذي عبر في أكثر من مناسبة على معارضته لترحيل يهود المغرب [64].

- حادثة غرق باخرة " Egoz " (11 يناير 1961) بسواحل الحسيمة، والتي غرق على إثرها حوالي من أربعين "مهاجرا سريا". عناصر كلها شكلت أدوات ضغط ودعاية محمومة ضد المغرب.

سبق وأن دخلت الدولة المغربية في مفاوضات حتى قبل وفاة محمد الخامس، كان عرابها هو الأمير مولاي الحسن، والذي بعد وصولة إلى الحكم سيتابع كل خطواتها،وبعد عدة ترتيبات قادها وزير الشغل آنذاك ألت الأمور إلى التنفيذ.

في هذا الإطار تروج عدة أسماء مغربية بعضها يهودي خاصة دافيد عمار، ومسوؤلين مغاربة مثل بنسالم كسوس الذي زار إسرائيل في مارس 1960، والتقى بكولدامايير، ثم عبد القادر بن جلون الذي سبق له أن شغل منصب وزير المالية، وكان حين مفاوضاته بسويسرا وزيرا للتشغيل. أما على مستوى التنفيذ فترد أسماء محمد الغزاوي المدير العام للأمن الوطني ومحمد أوفقير الذين ساهما في منح جوازات السفر الجماعية لليهود.

ثم كادت الأمور أن تأخذ بعدا رسميا عندما أخبر الوزير عبد القادر بن جلون الملك الحسن الثاني في 21 غشت 1961 بأنه سيطلع الحكومة على كل المستجدات، وعلى قرار السماح لليهود بالهجرة، وإذا كان هناك اختلاف في الثمن الذي اقترح المفاوضون تأديته على كل يهودي سيغادر المغرب، والذي تراوح بين 100 دولار أو أكثر، فالأكيد أن الدفعة الأولى كانت حقيبة تضم نصف مليون دولار تم تسليمها بأحد الفنادق السويسرية. وهكذا تم اتخاذ قرار "عملية Yachin" حول تهجير يهود المغرب، من طرف السلطات المغربية، وممثلي الحكومة الاسرائيلية والوكالة اليهودية،وقد لعبت المنظمات اليهودية خاصة (HIAS) دورا كبيرا في هذه العملية الشبه – سرية التي انتهت بمغادرة 100 ألف يهودي مغربي مابين 1967–1961، ثلثهم في سنة 1963.

5 – **مرحلة** 1967– 1973

تمكنت "إسرائيل" خلال "حرب الستة أيام" من بسط سيطرتها على ما تبقى من فلسطين إضافة إلى سيناء، وقد أثار الأمر نقاشا مغربيا بين المثقفين اليهود المتأثرين بالقضية الفلسطينية، خاصة الأوساط الأكثر تسيسا،لكنبعض من هذا النقاش كان عاما وآخر خاصا، وأهم مواضيعه الفرق بين اليهودية والصهيونية. ومن ثم بدأت المعطيات تتضح، والمواقف تنضج، لكن أخطر تداعيات الحدث هي أن مجموعة من الذين لم يكن لديهم هم الهجرة، اختاروا الرحيل. وقد بلغ عددهم ما بينستين وسبعين

62 – انظر النص الكامل لخطاب جمال عبد الناصر(دعوة الحق ع 35....)، لم يشر فيه إلى القضية الفلسطينية بقدر ما ركز على التعاون الافريقي. لكن المقصود كان هو خلق ازمة، وقد نجح فيه طلبة يهود ومدير مدرسة (حاخام) في اإارة قلاقل، أدت إلى أن تأخذ القضية بعدا دوليا .

63 – انظر تفاصيل الحدث في:

BIN NUN. Yigal;«La négociation de l'évacuation en masse des Juifs duMaroc» in,La fin du Judaïsme en terres d'Islam, dir. Sh. Trigano, Denoël Médiations, Paris, 2009.

64 – عبر محمد الخامس في احدي حواراته مع نيويورك تايمز صدر ثلاثة ايام قبل وفاته، عن موقفه الرافض لعملية تهجير اليهود.

ألف يهودي [65]، وستنخفض الطائفة إلى أربعين أو خمسين ألف، حسب التقديرات، وبقيت تنخفض بشكل بطئ، واستقرت منذ 1975–1974 بين 20 ألف و25 ألف.

أزمة سنة 1973 ومسار الاحتضار

كانت الكثير من أحياء مدينة الدار البيضاءإلى حدود سنة 1973شبه يهودية، فأغلب الدور التي تقع في مثلث البحيرة، شارع بوردو، حيث يوجد مقر ومكاتب الطائفة خلف سينما فردان، وشارع كلميمة إضافة إلى "ليزيطانيا". كما كان بقية من اليهود بالملاح، بعضهم حالة بؤس بادية. كما أن أغلب البيعات تتركز في هذا المحيط ذي الكثافة البشرية اليهودية العالية، لكن سرعان ما اجتاح النزيف آخر المعاقل.

أخذ المغرب يعي بأهمية المكون اليهودي في نسيجه الاجتماعي في البلاد، فقام بإصدار إعلان مهموعميق في 17 مارس 1976 عن طريق الحكومة ذكر فيه: " المهاجرين اليهود المغاربة الذين يعيشون حاليا في الخارج يمكنهم العودة الى بلادهم في كل لحظة" [66].

ورغم استمرارهم بين أظهرنا فإنهم غير مرئيين، إلا أذا أمعنت النظر صباح سبت حيث ترى بعض العائلات متجهة إلى بيعة "بيت الله" «Beth–El» المقابلة لمقاطعة سيدي بليوط، أو البيعتين المجاورتين.

خلاصة :

أسهمت هذهالآليات في إحداث شرخ كبير فيما عرف من تعايش مسلم – يهودي، وعبر هذه المراحل تم تنفيذ المؤامرة، مؤامرة إجهاض تعايش قديم، حيث حدث اجتثاث مزدوج في بعده، بين العفوي والإرادي.

كان الانتقال من مختلف مناطق المغرب العميق نحو الحواضر الكبرى، يرنو إلى تحسين وضعية اجتماعية، لكنه حمل بذور اغتراب بدأ يتعمق بتحول وظائف اليهود ومهنهم وأعمالهم وانفتاحهم على العوالم الغربية من خلال نوعية التعليم الذي رعته مدارس"الاليانس" والذي كان فرنسيا وبروح غربية، وهو ما انعكس في اللباس وجلسة الأكل على المنضدة والكراسي.

– وقصديا عبر ما مارسته الدعاية الصهيونية بمختلف أدواتها الدعائية، إضافة إلى الأموال التي ضخت في المؤسسات الساهرة على إنجاز عمليات الترحيل بكل الأساليب، مستغلة تواطؤ النظام السياسي، وملتفة على قوانينه.

وبهذا أصبح اليهودي لقمة مستساغة، ورقة في مهب الريح، ريح حملت بعضهم إلى "فلسطين المحتلة" وآخرون نحو فرنسا وكندا، بل وأبعد الأقاصي في أمريكا الجنوبية حيث يوجد أزيد من 60 ألفا منهملهم حنين وتعلق يتم إرواء جزء منه في "هيلولة" بالمغرب، ليعود اليهودي إلى غربته.

65 - LEVY Simon :Essais D'Histoire ..., p.141

66 - LEVY Simon : «Entre l'intégration et le diaspora (de l'Indépendance à nos jours)», in Ouvrage collectif, LES JUIFS DU MAROC,images et textes, dir. par GOLDENBERG André, paris 1992, p. 94

المراجع

—ABITBOl .M, «colonialisme et relations judéo-musulmanes» , in : Ouvrage collective; dirigé par Michel Abitbol , Relations Judéo musulmanes (perception et Réalites), 1997.

- BENSIMON Doris, «La judaïcité marocaine dans la seconde moitié du 20esiècle» : évolutiondémographique et sociale ;émigration. In ouvrage collective, dirige par juifs du Marocidentité et dialogue , paris 1981.

- BIN NUN Yigal;«La négociation de l'évacuation en masse des Juifs duMaroc» in La fin du Judaïsme en terres d'Islam, dir. Sh. Trigano, Denoël Médiations, Paris 2009, pp. 303-358.

- CHOURAQUI André,«la Condition Juridique de l'Israelite Marocain», paris, 1950.

- COHEN David, « Lyautey et le Sionisme (1915-1925)», Revue française d'histoire d'outre-mer, vol. 67, 3em 4em trimestre 1980.

- GOLDENBERG André,«l'ouverture au monde moderne (XVII. XIX Siècle)»,in : Ouvrage collectif JUIFS DU MAROC- Images & Textes- dir par GOLDENBERG André, paris 1992

- LEVY Simon,Essais D'Histoire & de Civilisation Judéo-Marocaines, Rabat 2001.

- LEVY Simon,«Entre l'intégration et le diaspora (de l'Indépendance à nos jours)», in Ouvrage collectif LES JUIFS DU MAROC,images et textes, dir par GOLDENBERG André, paris 1992.

- NOIN , Daniel ; La population du Maroc ;In: L'information géographique. Volume 26 n°1, 1962.

- SAADOUN. Haïm, « Histoire familiale, parcours individuel et mémoirecollective », Ouvrage collectif ; La bienvenue et l'adieu ; migration juifs et musulmans au Maghreb XVème XXème Siècle,dir. Frédéric Abécassis, Karima Dirèche et Rita Aouad. volume 3, Casablanca 2012.

- TSUR Yaron, L'«exode de Fes » sur les origines de l'imigration sioniste du Maroc, Ouvrage collectif; la bienvenue et l'adieu migrationjuifs et musulman au Maghreb XVème – XXèmesiècle, dir. Frédéric Abécassis, Karima Dirèche et Rita Aouad volume 2, Casablanca 2012.

–ايتنجر صمويل، اليهودفي البلدان الاسلامية (–1850 1950) ترجمة الرفاعي ج. أ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد 197 ، الكويت 1995.

–ايتنجر صمويل، اليهود في البلدان الاسلامية (–1850 1950) ترجمة الرفاعي ج. أ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد 197 ، الكويت، 1995.

–كنبيب محمد ، يهود المغرب، الرباط ، 1998.

–الجريدة الرسمية: عدد 266 السنة السادسة 2 جوان 1918/ 23 شعبان 1336:

• ظهيرشريف في تنظيم المحاكم الاسرائيلية ومحرر بالوثائق لديها، الصادر في 23 ابريل 1918/ 11رجب 1336، ص 558

• ظهير شريف في تنظيم لجن جماعات اليهود، الصادر في23 ابريل 1918/ 11رجب 1336،ص561

• ظهير شريف في تأسيس محكمة اسرائيلية عليا، الصادر في 23 ابريل 1918/ 11رجب 1336،ص 562.

–ظهير شريف رقم 250. 58 .1. بسن قانون الجنسية المغربية، الجريدة الرسمية، عدد 2395، الصادر في 4 ربيع الأول 1378/ 19 شتنبر 1958. ص 2190.

ـ كنبيب محمد ، يهود المغرب، – ترجمة إدريس بنسعيد، الناشر : كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، 1998.

– كنبيب محمد، المحميون، كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، منشورات باب آنفا، الرباط، 2011 .

–الزعفراني حاييم، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب ، ترجمة شحلان. م . و ابو العزم. ع غ، البيضاء 1987.